التأثير الفرنسي فى مسرحيات التيار الذهني

عند توفيق الحكيم

مسرحية الكراسي ليوجين يونسكو

ومسرحية ياطالع الشجرة لتوفيق الحكيم أنموذجا

إعـداد

محمود محمد بدري

ملخص البحث:

تخصيص التيار الذهنى الذى نشأ فى الخمسينات من القرن التاسع عشر عقب الثورة الفرنسية و مدى تأثيره على ثقافة توفيق الحكيم وتم تحديد عمل مسرحي واحد (مسرحية ياطالع الشجرة) كأنموذج للتأثر بالمدرسة الفرنسية والتى تمثلت لدى مسرحية (الكراسي) ليوجين يونسكو الفرنسي ومدى التشابه الواضح بينهما .

الكلمات المفتاحية: التيار الذهني – ياطالع الشجرة – الكراسي توفيق الحكيم – يوجين يونسكو .

Abstract:

The specification of the mental current that arose in the fifties of the nineteenth century after the French Revolution and the extent of its impact on the culture of Tawfiq al-Hakim. One theatrical work (The Play Looking at the Tree) was identified as a model for being influenced by the French school, which was represented by the play (The Chairs) by Eugene UNESCO and the clear similarity between them .

Keywords: Mental current - looking at the tree chairs - Tawfiq Al-Hakim - Eugene UNESCO

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ؛ فهذا البحث جاء تحت عنوان (التأثير الفرنسي فى مسرحيات التيار الذهني عند توفيق الحكيم) وقد خصصت فى هذه الدراسة الكاتب الروائي " توفيق الحكيم " كأنموذج عربي مصري متأثرًا بالأدب المسرحي الفرنسي عامة، والتأثر بالحركة المسرحية فى فرنسا التى ظهرت عقب الثورة الفرنسية فى منتصف القرن التاسع عشر من الخمسينات

إن الأدب المسرحي للتيار الذهني الذى ظهر بعد الحركة المسرحية فى الخمسينات فى فرنسا ثم استعان بها كُتَّاب المسرح في العالم العربي والغربي وقاموا بتوظيفه وفقًا لثقافة المجتمع وطبيعته الدينية والاجتماعية حيث جاء معبِّرًا عن :

1-مواجهة مخاوف الحياة.

2-معاناة الإنسان اتجاه مجتمعه.

3-الصراع الأزلي بين الخير والشر، والفقر والغنى.

4- الهروب من التقيد الطبقي البرجوازي.

5-التخلص من التراجيديا الكلاسيكية ذات الطبيعة التقليدية والقواعد الصارمة للكتابة المسرحية.

6-الثورة على النمط الواقعي الكلاسيكي الذي سار عليه المسرح العالمي طيلة قرون.

7-افتقار الواقع إلى أدنى معايير الإنسانية.

8-العزلة النفسية، والتقوقع داخل الذات.

9-أزمة الضمير العالمي والتي تمثّلت في موجة من الغضب شملت الأنسياقات الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية كافة.

أما عن تساؤل الكثير نحو كثرة أعمال توفيق الحكيم للمسارح الذهنية إلا أنها لم يعرض منها إلا القليل فيرد الحكيم قائلا " لقد تساءل البعض : أو لا يمكن لهذه الأعمال أن تظهر كذلك على المسرح الحقيقي ؟.. أما أنا فأعترف بأني لم أفكر في ذلك عند كتابة روايات مثل " أهل الكهف " و" شهرزاد " ثم " بيجماليون "... ، ولقد نشرتها جميعا ولم أرض حتى أن أسميها "مسرحيات " بل جعلتها عن عمد في كتب مستقلة عن مجموعة " المسرحيات " الأخرى المنشورة في مجلدين ، حتى تظل بعيدة عن فكرة التمثيل " (1).

فرغم ما قاله الحكيم عن نفسه ورؤيته في فشله في تحقيق المراد اثباته على خشبة المسرح إلا أن الباحث لايتفق مع هذا الكلام وأن هناك أسبابًا أخرى أدت إلى هذا من ضمنها العوامل المحيطة والملائمة لطبيعة الظروف بالشارع المصري في ذلك الوقت ، لاشك أن الحكيم يُعد مفكرا أدبيا مكتمل الأركان لدى المسارح الذهنية خاصة ، ورائدا محقا لما كُتب مسبقا عنه لهذا النوع من المسرح ولعل من أهم تلك الظروف أن المسرح المصري في تلك الفترة التي ظهر فيها الحكيم بأعماله المسرحية كانت غير ملائمة وغير مساعدة على ظهوره كمبدع فني لهذه الأعمال وذلك يرجع للقائمين على هذا العمل (الأشخاص) وهذا مايؤكده من خلال ماقاله " .. لم أجد إذن لتمثيل ماكنت قد كتبت في ذلك الحين من مسرحيات متنوعة ، لم يبق على نشاطها الأول إلا فرقة الهواة مثل جمعية أنصار التمثيل " (2).

لاشك أن أحد العوامل التي أثرت في شخصيات المسرحية عند الحكيم ، فعندما عرضت مسرحية " أهل الكهف " قال الحكيم (رأيت ماتوجست منه : أن هذا العمل لا يصلح قط للتمثيل ، أو على الأقل لا يصلح للتمثيل على

الوجه الذي ألفه أغلب الناس ، فالممثلون يعرضون مواقف وأزمات لا يرى الجمهور أن مثلها مما يكتب للمسارح لإثارة العواطف ! ، هكذا انتهى بي الأمر إلى السعي لدى القائمين بشأن " الفرقة القومية " ، حتى أوقفوا التمثيل)(3).

تمهيد :

المسرح الذهني :

إن للمسرح أنواعا كثيرة فمنها المسرح السياسي، المسرح الاجتماعي، مسرح اللامعقول والمسرح الذهني الذي نحن بصدد دراسته وذلك لأنه نوع جديد في الأدب العربي ظهر حديثا مع نخبة من الكتاب المسرحيين تعددت تسمياته منها المسرح الفكري، مسرح الأفكار، المسرح التجريدي و المسرح الرمزي.

ومعنى الذهنية أو التجريدية مرتبطة بالاتجاه الرمزي الذي ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، هو مذهب يكتفي بالإيحاء والإثارة النفسية، ويبتعد عن التسمية والتصريح، يؤمن بعالم الجمال المثالي (4)

أوجه التشابه بين يوجين يونسكو (مسرحية الكراسي) , وتوفيق الحكيم (ياطالع الشجرة) للتيار الذهني :

يعد يوجين يونسكو من الكتاب القلائل الذين يتمتعون بالكلمة الشمولية أو القصدية الرمزية لكلمة واحدة تحوى العديد من المعانى الذي قد يختلف الكثير على معانيها من القصدية بالنسبة للكتاب والنقاد فنجد من خلال مقابلة د حمادة إبراهيم له وترجمته أيضا للمقابلة ولما دار بينهما (إذ أشار بطبيعة ما تأثرت به الثقافة العربية التى كانت تتمثل فى السلاسل والدوريات المتخصصة التى اذدهرت فى الستينات ومنها (سلسلة روائع المسرح العالمى) التى عكفت على ترجمة وتقديم الأعمال المسرحية العالمية المتميزة إلى القارئ العربي) (5)

مسرحية الكراسي تحمل الكثير من خصائص المسرح الذهنى التى تكاد تكون قريبة من مسرحية ياطالع الشجرة مما يجعلنا قريبين من التماس بعض النقاط المتداخلة والقريبة بين المسرحيتين والتى تبين وتؤكد لنا

تأثير تلك المسرحية لما تحويه من معانى ورموز مقصودة على كاتبنا توفيق الحكيم وإن كنا نسرد مخلصا عامة وسريعا لمخلص عام المسرحية حتى نستنتج ماكنا نريد أن نقصده فى بداية الموضوع .

فنجد أن الحوار يدور بين الشيخ والمرأة العجوز , وبرغم طول الحوار إلا أننى كنت أكثر حرصا فى التقاط بعض النقاط التى تسلط الضوء على جوانب تأثير يونسكو على مسرحية توفيق الحكيم فنجد فى سياق الحوار إذ بأن العجوزان يتحدثان عن أيام شبابهما , ثم تحدث مفأجاة ويصبح الشيخ طفلا , وتصير المرأة أمه , ويستمر الحوار على ذلك .

العجوز : أوه إنك ياعزيزى ممتاز , للغاية أوه للغاية اتعرف للغاية , للغاية , إنك تستطيع أن تكون شيئا ما فى الحياة , أكثر من مارشال .

الشيخ : لنكن متواضعين , لنقنع بالقليل ...

العجوز : ربما قد تكون حطمت موهبتك ؟

الشيخ : يبكى فجأة حطمتها ؟ كسرتها ؟ آخ أين أنت ياأمى ؟

أننى يتيم , يتيم , يتيم ..... (6)

فمن خلال سياق الحديث نلاحظ أن يونسكو يركز على مابداخله دون الكشف عن مايقصده وهذا مايؤكده من خلال قاله " فأنا ككاتب مسرحي لا أجد مادتى فى بؤس الفقراء أو متاعب الاغنياء .. فالمسرح بالنسبة لى يعنى الكشف على خشبة المسرح عن العالم الداخلى ... ولذلك فأنا أجد مادتى المسرحية فى أحلامى .. وفى رغباتى الغامضة وتناقضاتى الداخلية الدفينة .. فى مخاوفى " (7)

ويستمر بعد ذلك الحوار والعجوزان فى الكراسي يعيشان فى قلعة مهجورة تحيط بها المياه من كل جانب ولايعرفان أى طريق للاتصا بأفراد المجتمع , ينتظران الخطيب الذى يمثل رمزا على عودة وحياء الروح ويستمر الحوار على هذا المنوال مما يؤكد أن هناك فراغ بلامعنى ولا هدف .

أما عن مسرحية "يا طالع الشجرة" من أكثر مسرحيات الحكيم التي وقفت أمامها طويلا لما تحويه من معاني عظيمة لدى تحليلات ورؤية نقدية تمثل اللامعقول عند العديد من النقاد كما يرون ولذلك فإنها تحتمل أكثر من معنى ، وذكر بعض النقاد(إذا كان لنا أن نسأل الحكيم ماذا تعنى مسرحيته) [8]

وهذا ما جعلني أعود إلى النص لقراءته قراءة متأنية موضوعية، ومن الغريب أني وجدت مضمون المسرحية واضح وضوح الشمس، وقد أورده الحكيم بشكل مباشر وهذا ما أكده د. محمد مندور أيضًا في كتابه " مسرح توفيق الحكيم عندما قال الحكيم في مقدمة " ياطالع الشجرة " إنه قد صدر فيها عن مذهب اللامعقول لا تقليدا للغربيين بل استلهاما لأدبنا الشعبي الذي يقول في أحد مواويله :

ياطالع الشجرة هات لي معاك بقرة

تحلب وتسقيني بالمعلقة الصيني

أولا : شخصيات ورموز " ياطالع الشجرة " :

– بهادر : الشخص الذي يقوم بدور الزوجة ل " بهانة " وهو مفتش قطار متقاعد .

– بهانة : زوجة " بهادر " وهو الزوج الثانى لها .

– الشيخة الخضراء : وهي السحلية التي يهتم بها الزوج " بهادر " طوال أحداث المسرحية وقد أطلق عليها اسم " الشيخة الخضراء " حيث تعكس دلالات غير مباشرة .

– شجرة البرتقال : المزرعة في حديقة منزل الزوجين " بهادر " و"بهانة " ، والتي يهتم بها الزوج اهتمام بالغ أكثر من زوجته مثل اهتمامه بالسحلية تمام .

ثانيا : رسالة المسرحية المتمثلة في لغتها الغير مفهومة بمدلول ذهني آخر في مجمل الحوار:

يا طالع الشجرة .. هات لى معاك بقرة" فمن غير المعقول أن يكون فوق الشجرة بقرة، وهذا يشير إلى الإستحالة التي نقول ونرى فيها أشياء غريبة لكنها ذات معنى ومغزى وهو حلم الفقير بأن يجد الطعام الذي يكفل له الإستمرار في الحياة.

ثالثا لغة الحوار المنبثقة من الشخص الواعي وغير الواعي : فمنطلق حياتنا اليومية يواجهنا جميع أنواع البشر من المدرك الواعى العاقل والعكس ، وعلينا في النهاية تتدراك أبعاد مايقصده الغير واعى للتعبير عن ما يريده دون أن نستخف به أو نسخر منه.

– المحقق : "فكرة القتل إذن خطرت على بالك؟!"

– الزوج : "فعلاً .."

– المحقق: "وبأي شيء كنت ستنفذ القتل؟

– الزوج : "قتل من؟ .. زوجتى؟!"

– المحقق : "" زوجتك؟ .. أنا ذكرت زوجتك؟ .. آه .. فليكن! .. زوجتك إذن .. نعم زوجتك؟

– الزوج : "ولكن الحديث كان عن السحلية .."(9)

فعند اهتمام أشخاص المسرحية لكل واحد على حسب اهتمامه فهذا يدل على أن الحوار له تنسيق عند كل شخص ويعي جيدا لما يهتم هو به .

رابعا ترابط الزمان والمكان مع الفكرة عند الحكيم ولكن بأبعاد مختلفة :

ويظهر ذلك من خلال الزوج البطل كما سبق وأن أشرنا في زمانين ومكانين الحاضر وهو مع محقق وفي الماضي في القطار واسترجاع وظيفته كمفتش قطار فالتداخل الزمنى يكون عند كل واحد منا حول ربط

الأحداث نفسها بالزمان والمكان وإذا كانت الأحداث ذات أهمية كبرى مفتقدة عند صاحبها فيرغب بعدها بالتمنى للعودة للأفضل الذي كان عليه .

خامسا الشخصيات تتسم بعنصر الأنانية لا الفردية: حيث تجسد كل المواقف الشخصية من خلال العرض المسرحي باهتمام كل شخص لما يريده هو ويريد أن يتحقق الأفضل كما ذكرت .

6- شعور الزوجين بالعزلة والغربة : حيث لا توجد شخصيات طوال أحداث المسرحية كما أن الحياة بصفة عامة عندما تتفوق مسؤليتها ومايجب على الشخص فعله نظرا لطبيعة الحياة الروتينية اليومية ، فأن الحياة تتصف بعدها بالكأبة والرتابة والملل والشعور بعدها في الرغبة بالعزلة والإنفصال للإرتياحية .

7- بعد الحياة من الهدف : برع الكاتب في تمثيل هذا من خلال رتابة ما يفعله الزوجين ومضمون هذا كله يعد من نتائج الإنكسارات نحو ماذكرت فلابد في النهاية من عدم وجود هدف لتحقيقه .

8- المضمون الذهني والفكرى للمسرحية: كفكرة أساسية عن الحياة بأنها زائلة ولا يوجد أي شيء في الكون باقى على الإطلاق، ويتمثل ذلك في إختفاء جثة الزوجة بعد قتلها وموت السحلية بلا مبرر.

كما أن اللغة متمثلة أيضًا في أن الكل يتحدث على هواه فالزوج مهتم بالشجرة والسحلية أما الزوجة فهي تحلم بإنجاب بنت بعد أن أُجهضت في حملها الأول ، فكل واحد يتحدث عن الشيء الذي يخصه وهذا هو حال الدنيا كما ذكرت فكل واحد يهتم بنفسه دون الإهتمام بمشاعر الآخرين ، كما تعكس حقيقة العصر الذي يحياه الفرد وهو انشغاله بهمومه الخاصة التي تمنعه من التجاوب مع الآخرين.

كما أتت بعض النقاط التى أتت بثمار ماجاء به توفيق الحكيم من أعمال يونسكو حتى أنها كانت قريبة من المدرسة الفرنسية ودليل على تأثر الحكيم بأعمال يونسكو من وجهة نظر الباحث كان أهما :

1-الاعتماد على العلاقات التشكيلية والتركيبية ومسرحية المسرح أكثر من اعتماده على الحوار .

2-عدم وجود احداث أو حبكة أو شخصيات تتصارع كما يحدث فى الدراما التقليدية .

3-عدم الاستناد على أمر واقع لإقامة مبرر للأحداث المسايرة .

4-تداخل الزمان والمكان وانعدام الخطوط المميزة للشخصيات .

5-تشابه الأحداث وتكرار الكلام .

6-التجسيد المسرحي لطبيعة الاختفاء والظهور وتضارب مايحدث بالماضي بالنسبة للحاضر.

7-التركيز على العالم الداخلى للإنسان , والكشف عن اعماقه , وتنقضاته الداخلية .

8-فراغ الحياة وعدم جدوى الجهد البشرى بالانتقال من الحديث التافه وبعض الكلمات التى لامعنى لها .

9-طول الحوار دون أن يكون هناك فائدة أو هدف وكذلك دون أن تكتمل القصة لأحداثها

10- الايحاء بالواقعية وعدم الواقعية ووجود تناقضات كثيرة .

أوجه التشابه لمميزات المسرح الذهني بين يوجين يونسكو (مسرحية الكراسي) و توفيق الحكيم (ياطالع الشجرة) :

يتميز المسرح الذهني عند يوجين يونسكو وتوفيق الحكيم بالعديد من المميزات ، والتي جعلت توفيق الحكيم من خلال تأثره بالمدرسة الفرنسية لهذا

التيار الذهنى رائدا من رواد الأدب العربي ، فلاشك أن كانت نقاط التشابه والألتقاء بين يوجين يونسكو وتوفيق الحكيم عديدة ونذكر منها :

1- تميَّز مسرح الحكيم ويونسكو بالتنوع في مسرحياته ، مابين المسرحيات الفكرية والكوميدية والتراجيدية، والتراجيدوكوميديا .

2- التنوع في المذاهب الأدبية الرومانسية والواقعية والكلاسيكية من خلال المسرحيات الذهنية التى قدمت من خلال الكاتبين .

3- تعدد الأفكاره والرؤية للأمور والقضايا التي تدور في المجتمع الغربي وكذلك العربي .

4- الإهتمام فى الأعمال المسرحية بجمال الأسلوب والتعبير، وكذلك تناول لكل الفئات المجتمعية من العامل والفلاح والملك والغني والمرأة التي جاءت أعماله مناصرة لها تارة ومعادية لها تارة أخرى .

5- الاختلاف بين الرمزيين وأصحاب اللامعقول فى ذلك أن هؤلاء يستدلون بذلك على عبثية الوجود ولا معقوليته بينما يرى الرمزيون فى ذلك الغموض الذى يكتنف الكون سحرا لا حد له , وينجذب الفنان دائما إليه , أملا منه فى كشف النقاب عن هذا المجهول والوصول إلى المطلق واللانهائي بواسطة الفن .

6- تضمن المسرحيات الذهنية مغزى عام وتحديدا مايخص معالجة قضية تخص المجتمع الذى يعيش معه الكاتب

7- مايميز المسرح الذهنى أنه ينطلق معبرا عن أعماق وجدانية ، إذ يواجه مايعرض له من مشاكل وأزمات مريرة ، بالارتفاع عليها ، والسخرية منها وإن كانت هذه الحقيقة لها مميزاتها وعيوبها ، فهي ارتفاع فوق الأحداث مما يتيح الفرصة للتفكير المثالي فيها .

الخاتمـــة

تعد هذه الدراسة من الدراسات الصعبة لكثرة تناول الموضوعات المتشابهة والمقاربة وكثرة الكتب أيضا , إلا أننى حاولت جاهدا أن أعبر عن ما أردت أن أجعله إضافة لهذا البحث من خلال رؤيتى الفنية وحول ما تم استنباطه من خلال بحثى هذا؛ تم الكشف عن عدة نتائج من أهمها :

- تعدد التيارات المسرحية التى أتت بعد ظهور الحركة الأدبية المسرحية فى الخمسينات والذى نشأ عنها ظهور مسرح التيار الذهنى .
- الحركة الأدبية الفرنسية كانت مصدر الهام كُتاب الأدب المسرحي الذين تأثروا فى تلك الفترة جراء الحرب العالمية الثانية , وكذلك الثورة الفرنسية , وكذلك أيضا على اعتبار أن فرنسا كانت إحدى القوة العظمى المهيمنة على العالم بجوار انجلترا فى الغزوات والإحتلال للبلاد المختلفة .
- كثير من الكتاب الذين عاصروا توفيق الحكيم العظماء مثل طه حسين وغيره قد سافروا فرنسا ونقلوا ماتأثروا به من كتاباتهم إلا أن توفيق الحكيم جاء بما يميز الأدب المسرحي العربي ويعتلى ساحات المسرح بنقله للثقافة الفرنسية بما يتلائم مع طبيعة المجتمع الشرقي وكذلك العادات والتقاليد والمعتقادات الدينية بما لا يخالف ذلك .
- التأثير الفرنسي جاء واضحا على أغلب أعمال توفيق الحكيم وكان دليلا على ذلك كثرة أعماله المسرحية إلا أنها كان يصعب فهمها وتجسيدها وتمثيلها لأنها مختلفة عن الأعمال التقليدية والكلاسيكية التى كان يمثلها باقى الكُتاب العرب لتلك الفترة .
- الخروج عن المألوف أو المعتاد للشعب العربي بالرغم من التأثير الواضح الذى جاء بعد الحرب العالمية الثانية والقضاء على النظام الملكى

وقدوم النظام الديقراطي وكذلك ثورة عام 1952 المصرية إلا أن الشعب المصرى كان يصعب عليه إدراك الثقافات الأخرى وإدراج الأعمال المسرحية المنتمية لتلك التيارات السالف ذكرها ضمن مايستطيع فهمه المواطن المصرى بالرغم من خروجه للحرية المنطلقة .

الحواشي

(1) توفيق الحكيم، بيجماليون ، مصر، دار مصر للطباعة , 1945 ص 10 ، 11

(2) توفيق الحكيم، سجن العمر، مصر , دار الشروق , 1964 م ، ص268 ، 269 .

(3) فؤاد دوارة ، مسرح توفيق الحكيم، القاهرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985 ص 282.

4() وردية بولحراش , النزعة التراثية فى المسرح الذهنى لتوفيق الحكيم , مجلة الخطاب , ع10 , منشورات مخبر تحليل الخطاب , 2012 , ص 150

(5) أوجين يونسكو : الأعمال الكاملة ليونسكو , ت/ حمادة إبراهيم , القاهرة , الهيئة المصرية العامة للكتاب , 2006 , ص 9 .

(6) المرجع السابق ، ص 279 .

(7)المرجع السابق ، ص 282,281 .

(8) انظر رمسيس عوض : توفيق الحكيم الذي لانعرفه ، القاهرة ، دار المعارف ، 1974 ص 36 .

([9]) توفيق الحكيم ، المصدر السابق , ص56.